

البحرين في القرن السابع الهجري

# الصراع بين قبش وهرمز يفتح

بقلم: الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

الأمير محمد بن محمد بن ماجد

يرصدى لجيش السلطان لسفري

وبدعه فوق جزيرة أوال

# الباب لوصول السافريين إلى الحجاج

كان القرن السابع الهجري هو قرن المأساة ، والقارىء لما سطرته اقلام المؤرخين سوف يواجه بالتشاؤم الشديد فقد نشطت اقلام المؤرخين تنعى الاسلام والمسلمين . وخيمت على سماء القرن ظلال سوداء اثارها في الافاق الاسلامية خيول المغول وهجمات الصليبيين . واخذت الخلافة العباسية تلفظ اخر انفاسها بعد ان اصبح الخليفة العويبة في ايدي الجند ، وشاع التمزيق والتقاتل والتصارع في كل الارحاء يفتك بمختلف الدول التي نشأت تحت عباءة الخلافة . وفي الخليج اثارته الهجمات الكاسحة على العالم الاسلامي الامواج فشهدت المياه الهادئة هي الاخرى بعض الحروب والصراعات وفوق ارض البحرين اخذت الفرقة تمزيق الدولة العيونية لتسرع هي الاخرى نحو الهاوية ولكن قبل السقوط كانت هناك قصة هي قصة الصراع الذي امتد من اوال القطيف والاحساء الى جزيرة قيس وهو الصراع الذي اشتركت فيه قوى اخرى هي قوى شيراز والدولة السلغرية والمغول والدولة الخوارزمية ليرسم بعض ملامح التاريخ فوق هذه الارض خلال ذلك القرن

الاتابكية الهزارسنية وفي كرمان دولة  
قطع خان<sup>(١)</sup>.

دويلات هنا وهناك . أما في بغداد فقد  
كان الخليفة العوية في يد الامراء الاتراك  
ثم في ايدي بنى بوية الديلميين  
والسلاجقة ولم يعد له سوى الاسم  
خاصة وقد ثبت في أذهان الناس منذ  
العصور الذهبية للاسلام أن الخلافة  
نظام لابد منه لصالح العالم . وأصبح  
كثير من الامراء في هذه الدولة وهم  
الامراء الذين كونوا لأنفسهم دولا بحد  
السيف يلجأون الى الخليفة حتى يعترف  
بهم ليحصلوا على تأييد الشعوب التي  
يحكمونها . وحتى يدعموا حكمهم  
بالشرعية . وان كانت شرعية هشة  
لا تقدم ولا تؤخر .

وفي القرن السابع أيضا أصبح العالم  
الاسلامى مستهدفا - وهوشى طبيعى -  
لهجمات ضارية وكاسحة من القوى  
المعادية المحيطة به ، فواصلت أوروبا  
الاستعداد لتجريد حملة صليبية جديدة  
هى الحملة الرابعة على الشام ومصر ،  
وانطلقت جحافل المغول والتتار<sup>(٢)</sup> تعربد في  
أرجاء الارض الاسلامية وهى تكتسح في  
طريقها كل شىء . الناس والمدن والزروع  
وتنشر الموت والدمار والخراب في كل  
مكان . وقد كانت هجمات المغول شديدة  
الوطأة لدرجة ان الكثيرين تصوروا وقتها  
ان الاسلام قد انتهى وان المسلمين قد  
أبيدوا . واذا كان جنكيز خان<sup>(٣)</sup> قد توقف  
بحملاته عند فارس وانطلقت قواته شرقا  
لتستولى على معظم اراضى الصين وتضم

يجمع المؤرخون على ان القرن السابع  
الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، كان  
قرن النحس بالنسبة للاسلام  
والمسلمين ، ويقولون ان هذا القرن كان  
من أسوأ القرون التى مرت بالعالم  
الاسلامى الذى أطلت شمس على بقاع  
شاسعة من المعمورة والذى حمل  
المسلمون راياته الى أقصى الغرب  
الافريقى والى مناطق موغلة في الشرق  
الاسيوى . ففى هذا القرن بدأت الخلافة  
العباسية طريقها نحو النهاية ، وفتكت  
دسائس الخصيان والعبيد وقادة الجند  
بما امتاز به البيت العباسى من صلابه ،  
وأخذت قبضة الخلافة تضعف تدريجا  
وتتآكل تبعا لضعفها الاقاليم وتحول  
العالم الاسلامى الفسيح والقوى الى  
خلافة هزيلة تلفظ انفاسها الأخيرة .  
ودويلات أخذت تظهر هنا وهناك في جو  
من التقاتل والتناحر والعداوة .

ونظرة واحدة على خريطة العالم  
الاسلامى انذاك تؤكد هذه الحقيقة  
المرة .

ففى غرناطة بالاندلس كانت دولة بنى  
نصر وفى شمال افريقيا كانت دولة  
الموحدين وفى الجزائر الدولة الزيانية وفى  
تونس الدولة الحفصية وفى مراكش  
الدولة المرينية وفى مصر دولة المماليك  
البحرية وفى اليمن الدولة الرسولية ، وفى  
صنعاء أحد أئمة الزيدية وفى بلاد الروم  
من السلاجقة ركن الدين قليج ارسلان  
الرابع وفى ماردين الدولة الارتقية وفى  
فارس الاتابكية السلغرية وفى لورستان

تركستان وبلاد ما وراء النهر وأفغانستان والدول الواقعة جنوب روسيا فان حفيدة هولاكو<sup>(٤)</sup> تطلع في زحفه نحو الغرب فاكتمسح اتابكيات فارس وقضى على الحشاشين وحاصر بغداد ثم اقتحمها جنده بعد استسلام الخليفة المستعصم بالله تحت خدعة وزيره ابن العلقمي . واشاعوا فيها الخراب واشعلوا فيها النار وعرضوا سكانها على السيف وقتلوا الخليفة واثنين من ابنائه ثم انطلق هولاكو الى شمال الشام ليفتك بحلب ويقتل اعدادا لا تحصى من أهلها . واذا كانت هذه الهجمات قد تحطمت - الصليبية في المنصورة بمصر والمغولية في عين جالوت بفلسطين - الا أن الظلال السوداء التي ملأت بها سماء العالم الاسلامي كانت من القتامة بدرجة افزعت الجميع . ويظهر ذلك واضحا في كتابات كثير من المؤرخين المعاصرين للأحداث فيقول شيخهم ابن الأثير وهو لم يدرك سقوط بغداد وان عاصر هجمات جنكيز خان :

« لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها فانا أقدم رجلا وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك فياليات أمى لم تلدننى وبالياتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . ثم رأيت ان ترك ذلك لايجدى نفعا . هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى فلو قال قائل ان العالم منذ خلق

الله سبحانه وتعالى ادم الى الان لم يبتلو بمثلها لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » ويقول ابن الاثير في موضع اخر من تاريخه الكامل<sup>(٥)</sup> :

« ولقد جرى لهؤلاء التتار ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه . طائفة تخرج من حدود بلاد الصين لا تنقضى عليهم سنة حتى يصل بعضهم الى بلاد أرمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان . وتا الله لا أشك ان من يجيء بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدا والحق بيده فمن استبعد ذلك فلينظر اننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في زماننا في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها .... يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم ... ولم ينل المسلمين أذى وشدة منذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثلما دفعوا اليه الان ... وتعدت هذه الطائفة منهم النهر الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك . هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخربوها ثم الى الري وبلد الجبل واذربيجان [ كذا ] وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الاخر الفرنج

قد ظهر عن بلادهم في أقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا مصر فملكوا مثل دمياط وأقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقى ديار مصر على الخطرفانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .»  
ويقول ياقوت الحموي (٦)  
(ت ٦٢٦هـ) وكان معاصرا لغارة المغول وصديقا لابن الأثير وقد استطاع أن ينجو بنفسه من الغارة :

« فأنا لله وانا اليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتفت في العضد وتشيب الوليد . وتنحب لب الجليد . وتسود القلب وتذهل اللب فحينئذ تهقر الملوك - يقصد نفسه - على عقبة ناكصا ومن الأوبة الى حيث تستقر فيه النفس بالأمن ايسا ...»

كانت هذه نظرة عابرة على القرن السابع الهجرى وحال المسلمين فيه وهو قرن يمكن ان يطلق عليه بحق قرن المأساة . ولكن على الرغم من عمق المأساة التى تعرض لها العالم الاسلامى فان القرن السابع الهجرى لم يحظ من المؤرخين بحقه من التحليل والدراسة . لقد كتبت مئات الصفحات ولكنها تناولت تاريخ هذا القرن بالسرد المسطح المصحوب بالتشاؤم واليأس ولم يتوقف كثير من المؤرخين لتحليل الاحداث التى حاقت بالعالم الاسلامى ويستنبطوا منها طبيعة الخيوط التى كانت تربط بين القوى التى اشتركت فى الهجوم على العالم

الاسلامى من مختلف الجبهات .  
واذا كان هدفنا من هذا البحث بالدرجة الاولى هو استقراء تاريخ البحرين خلال هذا القرن المضطرب ، الا أننا لا نستطيع ان نتغافل عما تومىء اليه سطور تاريخنا القديم من ظواهر تتبدى ملامحها وسط الاحداث هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان هذه الخطوب احدثت هزة عنيفة فى كل ارجاء العالم الاسلامى - والبحرين جزء منه - وانعكست اثارها بدرجة او اخرى على القوى التى كانت تحيط بالبحرين والتى كانت على علاقة بالقوى الكبرى المتصارعة فى الساحة .

وقد يكون من المقبول أن نقول ان عنف الهجمة لم يترك فسحة من الوقت للتحليل والتمحيص ولكن المستقرىء لهذه الاحداث اليوم لا يملك الا ان يتوقف طارحا بعض الاسئلة منها :

● لماذا نشطت اوروبا المسيحية فى تجريد حملة جديدة هى حملتها الصليبية الرابعة فى أوائل هذا القرن بعد ان كانت قد توقفت حيناً من الدهر . وهل هناك ما يمكن ان نستنبطه من مواكبة غزوات المغول على العالم الاسلامى من الشرق لحملات الصليبيين من الشمال والغرب ؟  
● هل هى مصادفة ان بلاط المغول كان به بعض الرهبان المسيحيين ففى بلاط كيوك المغولى الذى تولى الحكم عقب جده جنكيز خان ( ٦٤٤هـ - ١٢٤٦م ) كان يوجد بعض القسس من المسيحيين وفريق من البوذيين وقد كانوا يوغرون

صدره باستمرار ضد العلماء المسلمين من أمثال نور الدين الخوارزمي لدرجة انهم طلبوا منه ان يستدعى هذا العالم المسلم ومجموعة من زملائه الى البلاط لمناظرتهم حول الاسلام والمسيحية فلما أفحمهم العالم المسلم طلبوا منه ان يصلى أمامهم فلما اصطف للصلاة هو ورفاقه قام الرهبان المسيحيون بضربهم بطريقة وحشية ثم السخرية منهم والعبث بهم بطريقة همجية ممجوجة<sup>(٧)</sup>

وفي بلاط مانجو خان ايضا وهو الذى حكم المغول بعد كيوك تواجد الرهبان المسيحيون بصورة واضحة ، فبعد توليه العرش بسنتين زار بلاطه وليام روبرك وغيره من الرهبان المشهورين حيث استقبلوا بمظاهر الاكرام والحفاوة<sup>(٨)</sup>

● لماذا ظهر على أوروبا المسيحية الهدوء لدرجة انهم شغلوا بالاعداد لحملتهم الصليبية الرابعة ( ١٢٠٤م ) على الشرق رغم ان هجمات المغول كانت ترج العالم كله رجاء عنيقا ورغم ان هذه الهجمات كانت قريبة جدا فقد اكتسحت المجر وبولندا ولكنها توقفت عند أوروبا الشرقية ولم تجاوزها .

● هل كان لتواجد الرهبان المسيحيين فى البلاط المغولى تأثير وهل كان هذا التواجد وراء الاندفاع المغولى نحو الشرق الى جنوب روسيا وشمال الصين واكتساح جنوب غرب اسيا وهى مناطق تواجد فيها الاسلام .

كلها أسئلة قد يؤدى بحثها الى شئ وقد تقود الاجابة عليها الباحثين الى

معرفة الخيوط الرفيعة التى كانت وما تزال تربط بين الجبهات المعادية للعالم الاسلامى وتنسق بطريقة غير منظورة بين هذه الجبهات خاصة والنظرة الشاملة التى تعبر افاق القرن الثالث عشر الميلادى - السابع الهجرى بما يزودها به تقادم العهد من وضوح وجلاء بالاضافة الى المعطيات الجديدة لتحركات القوى السياسية والعسكرية فى القرن العشرين كل هذه امور تفجر عشرات الاحتمالات وتتيح كمًا كبيرا من المعلومات التى يمكن ان تؤدى لكثير من النتائج . ولا يفوتنا هنا الا ان نحى ابن الاثير فقد شك بحسه الصادق ان هناك ترابطا بين هجمات الشرق وهجمات الغرب .

على العموم كان هذا عرضا سريعا لأحوال القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وهو عرض لا بد منه كمقدمة لما نحن بصدد الحديث عنه فى هذا البحث عن البحرين فى القرن السابع الهجرى . ونأتى فى البداية الى سؤال كبير هو

أين كانت البحرين وسط هذه الأحداث الجسام ؟

رأينا فيما سبق أن الخلافة العباسية دخلت فى هذا القرن مرحلة الانحلال الفعلى وأصبح الخليفة العوبة فى يد الجند ولم تكن الدويلات الاسلامية التى قامت على انقاض الكثير من مناطق الخلافة تقيم وزنا للخليفة وان حرص أمراؤها على الحصول كما قلنا على تفويض من الخليفة وهو التفويض الذى كانوا يحصلون عليه بالتهديد تارة وبالمال

# عندما حمل ابن الأثير نعي الإسلام

## والمسلمين إلى الأجيال القادمة !

محاربته واحلال الهزيمة به وفي سنة ( ١٢٣٠ م ) اغار المغول على بلاده ثانية فهرب الى الجبال حيث قتل بيد أحد الأكراد .

كانت هذه هي حال المشرق اما بالنسبة للولايات الاسلامية الأخرى فقد كانت الجزيرة العربية ومصر ومعظم بلاد الشام تحت سلطان خلفاء صلاح الدين الأيوبي ، وبعد وفاة صلاح الدين ثم وفاة اخيه الملك العادل سنة ٦١٥ هـ انقسمت الدولة بين ابنائه وأصبح سلطانهم على هذه المناطق اسميا .

الخلافة سلطانها اسمى وحتى الدول القوية نوعا والتي نشأت تحت عباؤها كالمماليك والتي كانت تمتد نفوذها الى مناطق في غرب البحرين أصبحت منهكة ومشغولة بالخلافات الداخلية والسلاجقة والخوارزميون تدقم هجمات المغول دقا شديدا . كل هذه الظروف جعلت بعض القوى المحلية على شطآن الخليج سواء الشاطيء العربى أو الشاطيء العجمى تتمتع ببعض النفوذ بل وتأخذ طريقها لتصبح هي الأخرى دولا شبه مستقلة

تارة اخرى . وقد حاول الخليفة في بغداد دائما أن يضرب كلا من القوى بالأخرى ولكنه كان في حقيقة الأمر اسير كل القوى مجتمعة فقد استعان الخلفاء العباسيون ببني بويه الديلميين ليخلصوهم من استبداد الاتراك ثم استعانوا بالسلاجقة ليخلصوهم من البساسيرى عندما أراد تحويل الدعوة الى الفاطميين في مصر ثم بدأوا اتصالاتهم مع الخوارزميين لتخليصهم من استبداد السلاجقة وهذا هو ما دفع بعض المؤرخين الى القول بأن الخليفة العباسى الناصر هو الذى استعان بالمغول للتخلص من تسلط الدولة الخوارزمية ( ٩ ) . على أى الأحوال فقد شبت الحرب بين المغول والدولة الخوارزمية وانتهت باكتساح سمرقند وبخارى والرى وكل منطقة ما وراء النهر . وفي سنة ٦٢٢ هـ عاد جلال الدين منكبرتى وجمع فلول جيش أبيه السلطان خوارزم شاه محمد وأعاد سيطرته على العراقين بل وهدد بغداد نفسها حتى اتفق الملك العادل الأيوبي مع كيغان كيخسرو صاحب سلطنة الروم على

تحكم ظروفها بعض القوى المحلية وعلاقات تقوى وتضعف مع الخلافة أو مع الاتابكيات أو مع الخوارزميين حسب تغير الأحوال .  
فما هو حال البحرين في هذا القرن المضطرب ؟

لقد قلنا في بحثنا السابق والمنشور بالعدد الأول من « الوثيقة » ان دولة العيونيين في البحرين بعد المؤامرة التي دبرت لقتل الأمير محمد بن احمد بن ابي سنان بن الفضل بن عبدالله بن علي العيوني على يد الأمير غرير بن الحسن وراشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة عادت الى الانقسام فتولى غرير حكم البحرين والقطيف اما الاحساء فقد تولى حكمها محمد بن ماجد وبعد أن تم للفضل بن محمد القضاء على غرير واستتب له الحكم على القطيف والبحرين وجه نظره نحو الاحساء فحرض الأمير أبا القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبدالله بن علي العيوني على محاربة ابن أخيه الأمير محمد بن ماجد وفعلا نشب القتال بينهما وتمكن مسعود من قتل محمد بن ماجد وتولى الإمارة في الأحساء هو وأبنائه . وقد أرخ الشاعر ابن المقرب العيوني لاستيلاء مسعود على الاحساء بقصيدته التي مطلعها :

اتدرى الليالى اى خصم تشاغبه  
وإى همام بالرزايا توائبه  
الى أن يقول :

ومن مثل مسعود الأمير اذا غدا  
يغص بفضل الريق والماء شاربـه

ابو ماجد<sup>(١٠)</sup> ترب العلا وربيبها  
أبوه الذى تهدى السرايا مقانبه<sup>(١١)</sup>  
وتلقى عليا جده خير من حدث  
اليه المطايا والتقتها رغائبه  
وان تفتخر بالفضل فضل بن عبدل<sup>(١٢)</sup>  
فيا بأبى اعراقه ومناسبه  
ولكننا ومن شعر ابن المقرب وهو  
مصدر ثقة لهذه الفترة نجد أن الأحوال  
ساعت للغاية في عهد الفضل ومسعود  
سواء في البحرين والقطيف أو الاحساء  
ويترجم ذلك الشاعر في قصيدته التي  
يقول فيها :

بعض الذى نالنا يا دهر يكفيننا  
فامنن ببقيا وأودعها يد فينا  
الى أن يقول :

ان كان شأنك ارضاء العدو بنا  
فدون هذا به يرضى معاديننا  
الحمد لله حمدا لا نفاذ له  
ان لم يكن ضعفنا الا بأيدينا

وقد بلغ من سوء الأحوال أن أصبح  
الناس لا يأمنون على أعراضهم وأموالهم  
من غارات البدو وقد تلقى حادثه شكر بن  
مفرح بن حجاب العقيلي وهو من  
العقيلات من بنى عامر الضوء على ما  
ذكرناه . فشكر هذا كان من قطاع  
الطريق وكثرت حوادث سطوه ونهبه ولكن  
في احدى غاراته بالأحساء تمكن بعض  
الأهالى من قتله فاجتمعت قبيلته وطالبت  
الأمير مسعود بديته فوافق على أن يدفع  
لهم الدية ولكن الأهالى رفضوا على  
أساس أن القتل قاطع طريق ولص طالما  
روع الناس وأذاهم بهجمات عليهم وعلى  
أساس أنه قتل أثناء عدوانه عليهم فلما  
امتنعوا عن دفع الدية هاجمت قبيلته  
الأحساء ونشبت معركة رجحت فيها كفة



العقيلات فوافق الأمير مسعود ومعه الأهالي هذه المرة على دفع الدية .  
هذا الضعف الذي أصاب السلطة الحاكمة في الأحساء وجعلها تخضع لمطالب إحدى قبائل البدو التي بدأت بالعداوة وقطع الطريق يعكس مدى ما وصلت إليه الحالة في تلك الفترة وهو ما يشرحه ابن المقرب بقوله .

الى كم مداراة العدا واحترامها  
وكم يعترينا ضيمها واهتضامها  
سلو عن ملوك منكم هل أفادها  
قعود عقيل بعدها أو قيامها  
يؤدى قتيل كان في كل ساعة  
يجمع أو باشا كثيرا طغامها  
ويقطع طرق المسلمين نهاره  
عيانا ولا يثنيه عنها ظلامها  
وما نيل غدرًا بل أتى في عصابة  
قليل من العذر الشنيع احتشامها  
فأوجزها نجلاء طعنة نائر  
كجيب قميص لا يرجى التئامها  
والقصيدة طويلة ويمكن الرجوع إليها في ديوان الشاعر وهو يستنفر فيها أهل البلد ويثير في نفوسهم الحماسة ولكنه لم يتطرق فيها لذكر الأمير مسعود وابنه الفضل ليأسه منهما ولما لم يجد لدعوته صدى سافر الى العراق ولعل قصيدته التي قالها أثناء سفرته هذه الى بغداد سنة ٦١٣ هـ تحدد لنا تاريخ هذه الحادثة ويقول فيها :

قم فاشدد العيس للترحال معترما  
وارم الفجاج فان الخطب قد فقما  
ولا تلتفت الى اهل ولا وطن  
فالحر يرحل عن دار الأذى كرما  
ان المنية فاعلم عند ذى حسب  
ولا الدنية هان الأمر أو عظما

لا يقبل الضيم الا عاجز ضرع  
اذا رأى الشر يغلى قدره وجما  
وأخسر الناس سعيا رب مملكة  
أطاع في أمرها النسوان والخداما  
والقصيدة طويلة وقد حشد فيها كل عناصر الفخر بماضى قومه وعزهم . وفي حوالى ٦١٥ هـ تمكن الأمير على بن ماجد بن محمد بن على بن عبد الله العيوني أخو الأمير محمد بن ماجد الذي قتله عمه مسعود استطاع أن يقضى على حكم مسعود وابنه الفضل وأن يستولى على الأحساء وتصل هذه الأخبار الى ابن المقرب في بغداد فيعود الى الأحساء مادحا الأمير على بن ماجد بقصيدته التي مطلعها :

صدت فجذت حبل وصلك زينب  
تيها وأعجبها الشباب المعجب  
يا هاجر الأوطان تطلب ماجدا  
يلجأ اليه من الزمان ويهرب  
انزل على الملك الذى بفنائها  
تلقى الرجال ويستريح المتعب  
لله درك يا على فلم يعد  
الاك في هذا الزمان مهذب  
أضحت بك الاحساء ساكنة وقد  
خفت بمن فيها وكادت تقلب  
ومنعتها من بعد ما كانت سدى  
في كل ناحية تغار وتنهب  
وملاتها عدلا وكانت عممت  
جورا تفور به الديار وتخرب  
ولكن لم تطل مدة حكم على بن ماجد فقد هاجم الأحساء الأمير مقدم بن غرير بن الحسين بن شكر بن على بن عبد الله وفي الصفحة رقم ٥٤٢ من ديوان ابن المقرب علق صاحب الديوان على هذه الحادثة قائلا :

سنان يؤكد ذلك أحد الأبيات التي وردت في القصيدة وهو يحدد بوضوح المرسل اليه والبيت يقول :

**وصلوا حبالكم بحبل محمد  
نجل المعظم عيبدل بن سنان**

ومحمد بن عبدالله بن سنان هو الآخر من آل أبي جروان وقد يكون ذلك هو السبب في اختلاط الأمر على شارح الديوان وهذه القصيدة طويلة وهى تصف حالة البحرين في أواخر أيام العيونيين خير وصف . وبعدها سافر الشاعر سفرته الطويلة الى الموصل للقاء الملك الأشرف موسى بن الملك العادل وكان صاحب بلاد الجزيرة وخلاط وميافارقين وذلك في سنة ٦١٨ هـ وقد انتهت دولة العيونيين في الأحساء بغرير وانتقل الحكم الى آل عصفور من بنى عقيل بن عامر وأول حكامهم عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة .

أما في الشطر الثانى من دولة العيونيين وهو أوال والقطيف فقد ذكرنا أمراءهم في بحثنا عن العيونيين بالعدد الأول من « الوثيقة » وانتهينا الى عام ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م وهى السنة التى انتهى فيها حكم فاضل بن ماجد بن احمد بن أبى سنان بن عبدالله بن على العيونى وخلفه على الحكم أخوه جعفر بن ماجد ولم تطل مدة حكمه الا أشهراً ثم اخرجته المسيعة من القطيف وتولى الأمر بعده ابناء الأمير مسعود بن احمد بن محمد أبى سنان بن الفضل بن عبدالله العيونى والأمير مسعود المقصود هنا غير الأمير مسعود بن محمد بن على بن عبدالله العيونى الذى حكم هو وابنه الفضل الأحساء . أما ابناء الأمير مسعود بن احمد فهم محمد وحسين

حين خرج الأمير على بن ماجد من الأحساء بقيت قوم من أهل البلد مع مقدم بن غرير بن الحسن بن شكر بن الحسن بن عبدالله فملكها وكانت السلطنة بالبحرين قد ضعفت وساء تدبيرها وذلك انهم صاروا يقدمون قوما ليسوا من أهل الشرف ولا من أرباب الدولة ولا من القرابة لهم حتى زهد فيهم الصديق وبغضهم ذو قرابتهم وطمع فيهم العدو ، وصارت العامة تقدم من تريد وتؤخر من تريد من السلاطين ومما بلغ من سوء تدبيرهم انه اذا ملك أحدهم أخرج جميع أهل الفضل والشرف من البلد فخرجت المملكة من أيدي أهلها بفساد التدبير وصارت البلد للعدو الذين هم البدو وما بقي السلطان بقدر على مال يجند به جنوداً تمنعه وتحفظه وتدفع عنه بأس رعيته فاجترت الرعية وصار كل له صولة وكل يريد الملك على يديه ، وأعتنوا بذهاب الى ابراهيم . وغرير بن الحسن نشأ في البادية الأمر الذى جعله لا يعرف أهل البلد فأجاب أهل الخدع والمكر الى ما أرادوه في آل ابراهيم فقبض على عدة رجال منهم وألقاهم في المطمرة<sup>(١٣)</sup> ونهب ما في خزائنها .

وبعد أن يؤس ابن المقرب من نصح غرير سافر الى القطيف ونظم قصيدته التى مطلعها :

**كم بالنهوض الى العلا تعدانى  
ناما فما لكما بذاك يدان**  
ويقول شارح الديوان ان الشاعر ابن المقرب ارسلها الى ابراهيم بن جروان أحد رؤساء الأحساء وهذا خطأ لأن ابراهيم ابن جروان جاء بعد زمن الشاعر بوقت طويل والصحيح أن القصيدة ارسلت الى الأمير محمد بن عبدالله بن

وحسن ( راجع شجرة النسب المنشورة مع هذا البحث ) وقد تولى ابناء الأمير مسعود الامارة على البحرين والقطيف حوالى عام ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م وذكرهم ابن المقرب جريا على عادته فى التأريخ لأمرأ البيت العيونى فى ثلاث قصائد ٧ فقد مدح الأمير محمد بن مسعود ويكنيه « أبا على » بالقصيد التى يقول فيها :

بعثت تهدد بالنوى وتوعد  
مهلا فان اليوم يتبعه غد  
ينميه عبدالله والفضل ابنه  
وابوسنان ذو الفخار واحمد  
وابوه مسعود الطعان وعمه  
ذو البأس والكرم الأعم محمد  
يا طالبا فى الناس مثل محمد  
اقصر فمثل محمد لا يوجد  
يا أبا على دعوة من مخلص  
لكم الهوى وبذاك قلبك يشهد  
واليكها يا أبا على مدحة  
من فضلها انى عليها أحسد  
ومدح الأمير حسين بن مسعود بقوله :

بالسيف يفتح كل باب مقفل  
وتحل عقدة كل امر مشكل  
كن كابن مسعود حسين فى الندى  
والبأس أو فعن المكارم فاعدل  
فضل أبوهم والمعظم عبدل  
من مثل فضل فى الفخار وعبدل  
واذا عددت أبا سنان وابنه  
وابن ابنه فاشرب خصيمك أو كل  
يا من يقيس بال فضل غيرهم  
لا توهمن الدوح غير القرمل  
ومدح الأمير حسن بن مسعود بقصيدته  
التي مطلعها :

أراه الهوى ما لم يكن فى حسابه  
فاقلقه عن صبره واحتسابه  
هكذا كان الحال فى داخل البحرين  
أثناء الحكم العيونى والذى استغرق  
قراة النصف الأول من القرن السابع  
الهجرى فالبيت العيونى منقسم على  
نفسه الى ثلاثة بيوت هى بيت الفضل  
وبيت ابنى على الحسن وبيت أبى منصور  
وتكاثر ابناء البيوت الثلاثة الى عشرات  
الابناء وتكاثرت معهم النزاعات والحروب  
والصراع من أجل الحكم . وقد يكون من  
المفيد ان ننظر الى ما يجرى على الشاطيء  
الأخر للخليج باعتباره ذا تأثير على  
مجريات الأمور فى البحرين وقتئذ .

وهذا يقتضى منا العودة للوراء قليلا .  
فقد زحفت قبائل الغز التركية فى أوائل  
القرن الخامس الهجرى قادمة من بلاد  
ما وراء النهر وظهرت فى خراسان وتمكن  
طغرل بك السلجوقى ( ٤٢٩ هـ )  
واخوته من انشاء الدولة السلجوقية  
واستطاع هو ومجموعة السلاطين العظام  
من آل سلجوق مثل ألب ارسلان  
وملكشاه ومحمود ناصر الدين وبركياروق  
ومحمد وسنجر أن يقضوا على دولة بنى  
بويه - كما قدمنا - وأحكموا قبضتهم على  
الخلافة العباسية حتى أصبحوا  
يتحكمون فى تعيين الخليفة وعزله وسجنه  
فى كثير من الأحيان وتغلبوا على كثير من  
البلاد الاسلامية وحكموها شكلا باسم  
الخليفة وان كان هذا لم يمنع من أن يدعو  
لأنفسهم على المنابر بعد اسم الخليفة .



ولكن في أوائل القرن السادس اصاب الهرم دولة السلاجقة وانقسمت الى اتابكيات وصلت الى ١٨ اتابكية يحكم كلا منها اتابك يدفعه الطموح الى محاولة توسيع رقعة اتابكيته على حساب جيرانه وشبت الحروب واشتعل الصراع وأخذ الاتابكة يلجأون الى الخليفة يطلبون تأييده أو تفويضه أو دعمه المعنوي في الصراع الدائر بلا هوادة فلما حل عهد الخليفة المسترشد (٥١٢ هـ - ٥٢٩ هـ) (١١١٨ م / ١١٣٥ م) بدأ الخلفاء محاولاتهم لتقوية نفوذهم منتهزين فرصة ضعف السلاجقة وتمزق دولتهم . وتمكن الخليفة الناصر لدين الله ( ٥٧٥ هـ - ٦٢٢ هـ ) ( ١١٨٠ م / ١٢٢٥ م ) من دعم علاقته مع الدولة الخوارزمية الناشئة واستخدمها في الاجهاز على دولة السلاجقة عام ( ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م ) وقتل طغرل بن الب ارسلان آخر سلاطينهم بواسطة جيش علاء الدين محمد خوارزمشاه واستعادت الخلافة بعض هيبتها وعادت لها السيطرة على بعض الأقاليم الضائعة في العراق العربي والأحواز وبدا أن الخليفة يستعيد - ولو لفترة - سيطرته على مقدرات الخلافة متحررا في ذلك من النفوذ الذي فرضه سلاطين السلاجقة . والذي وصل الى حد انهم كانوا يرسمون السياسة الداخلية والخارجية للخلافة . وعندما تحللت الدولة السلجوقية كما قلنا تفرقت الى اتابكيات وحول الاتابكيات قام الولاة والمتنفذون في كثير من الأقطار وفي جو

الفراغ الذي خلقه تهاوى الدولة السلجوقية بالاستقلال بما تحت أيديهم من أقاليم مؤسسين مجموعة من الامارات والدويلات والمشيخات الصغيرة هنا وهناك . فالدولة العملاقة كانت تنقسم الى اتابكيات كما قلنا والاتابكية كانت عبارة عن اقليم كبير يحكمه أتابك وفي داخل كل اقليم أصبحت هناك المشيخات والدويلات والامارات وهى بدورها كانت تتبع من حيث الشكل الاتابكية التى انفصلت عنها ولكنها فى غالب الأحيان كانت تخلق علاقات مع الاتابكيات المجاورة مستغلة الصراع القائم بين الاتابكيات نفسها فى تحصيل بعض المكاسب الاقليمية وحتى فى المناطق التى لم تكن فيها قوى سياسية قادرة على انشاء هذه الوحدات السياسية الصغيرة شبه المستقلة أو المستقلة قامت بعض الاسر الثرية والتى كانت تسيطر على التجارة بالتحول الى السياسة وتأسست امارات كان لها دور بارز فى بعض الأحيان . كانت هذه هى السمات العامة للجو السياسى فى هذه الفترة فاذا جئنا الى الخليج نجد بنى قيصر يتمكنون من تأسيس امارة فى جزيرة قيس أصبح لها فيما بعد تأثير بارز فى تاريخ الخليج كما تمكنت عائلة أخرى من تأسيس امارة فى هرمز وتمكن الاتابك مظفر الدين سلغر من تأسيس اتابكية شيراز التى عرفت بالاتابكية السلغرية . وقد سارعت هذه الامارات الى كسب ود الخليفة العباسى حتى تضى على حكمها صبغة

الشرعية . ولكننا نجد الدولة السلغرية تتعرض لهجوم دولة خوارزم شاه فقد اصطدم حاكمها سعد زنكى بعلاء الدين محمد خوارزم شاه واسفرت المعركة عن وقوع سعد زنكى فى الأسر وأطلق سراحه علاء الدين بعد أن عقد معه اتفاقية تنازل سعد زنكى بمقتضاها عن جزء من بلاده كما وافق أن يخطب لعلاء الدين على منابر بلاده وأن يضرب العملة باسمه وان يرفع الراية الخوارزمية ، وتتصاعد الأحداث ويعيد التاريخ نفسه . فكما كبر البيت السلجوقى وأصبح يتحدى الخليفة كبر كذلك البيت الخوارزمى وبدأ يتحدى الخليفة العباسى وأصبح سعد زنكى هو الآخر وبحكم تحالفه مع الخوارزميين يناوئ الخليفة . وبلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها فى عهد علاء الدين محمد خوارزمشاه ( ٦١٤ هـ ) حتى انه حاول أن يستولى على بغداد وهاجمها بالفعل ولكنه أخفق بعد أن تعرض جيشه لبعض الكوارث الطبيعية على جبال العراق فأسرع بالعودة الى بلاده التى أخذ الخطر المغولى يتهدها فى سنة ( ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ) فقد انطلق جنكيز خان فى زحفه الكاسح الذى طوى الكثير من المدن الاسلامية وعندما عاد جنكيزخان الى بلاده سنة ٦٢٠ هـ كانت الدولة الخوارزمية بدورها قد تمزقت شر ممزق ومات علاء الدين خوارزمشاه دون أن يجد له أصحابه كفنا يوارون به جثمانه وفر ابنه الأكبر جلال الدين منكبرى مع قسم من جيشه الى الهند ولم

يبقى الا ابنه غياث الدين الذى تمكن من الاحتفاظ بقسم من العراق لم يصل اليه المد المغولى الأول . وبعد انحسار الهجمة الأولى للمغول وسع غياث الدين سلطانه على خراسان واقليم مازندران . ولكن جلال الدين منكبرى وبعد أن علم بعودة جنكيزخان لبلاده عاد من الهند وهاجم أخاه غياث الدين وسارع حكام الاتابيكات بتقديم الطاعة له واستطاع ان يستعيد أكثر الأقاليم التى كانت تابعة لأبيه . ولم ينس موقف الخليفة من أبيه وجده فأزعم مهاجمة الخلافة وبالفعل هاجم مدينة تستر عاصمة اقليم الأحواز التابع لحكم الخليفة ثم رحل عنها وهاجم بغداد سنة ( ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م ) وفى هذه السنة توفى الخليفة الناصر لدين الله وكان فى سنينه الثلاث الأخيرة قد أصبح عاجزا عن الحركة وقد ذهبت احدى عينيه وضعف ابصار الثانية وفى نهاية أيامه اصابته دورسنتاريا حادة لازمته عشرين يوما فقضت عليه<sup>(١٥)</sup> وخلفه ابنه الظاهر الذى حاول أن يعقد صلحا مع السلطان جلال الدين منكبرى ولكن المنية لم تمهله فمات سنة ( ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ) وخلفه ابنه المستنصر وبقي العداء مستحكما بين الخليفة المستنصر والسلطان منكبرى لذلك لا غرابة اذا ما رأينا الاتابك سعد بن زنكى حليف السلطان منكبرى وابن ابابكر يحاولان بتحريض من السلطان الخوارزمى تقليص نفوذ الخليفة على اماره قيس وامارة البحرين التى كانت

على علاقة طيبة بالخلافة منذ أيام الناصر كما رأينا فيما سبق أن بنى قيصر تمكنوا في أواخر النصف الأول من القرن السادس الهجرى ان يؤسسوا في جزيرة قيس دولة كان لها تأثير كبير في تاريخ الخليج . وقد مكن لهذه العائلة من الحكم امتلاكها لعدد من السفن كانت تستغلها للغوص والقطاعة ( النقل البحرى ) وكانت لها تجارة رائجة مع الهند وافريقيا . ولما كان العيونيون هم الآخرون لهم سفنهم ويعملون بالغوص والصيد والتجارة فقد كان لابد أن تنشأ المنافسة بين القوتين وقد حاول ابوكرزاز بن سعد بن قيصر سنة ( ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م ) الهجوم على البحرين وجرد لذلك حملة بحرية بقيادة أخيه نام سار بن سعد نزلت في سترة وتصدت لها قوة العيونيين بقيادة ابوعلی الحسن وابنه شكر ودارت بين الجمعین معركة ضارية انهزم فيها جيش قيس وأسرقائده . ولكن التنافس لم يخف بين قيس والبحرين وظلت قيس تتحرش بالبحرين وساعدها على ذلك تمزق الأسيرة العيونية - كما أسلفنا - وتنازع البيوتات العيونية على الحكم . فلما اغتيل الأمير محمد بن احمد بن أبى سنان لجأ ابنه الفضل الى الخليفة طالبا دعمه وقد زوده الخليفة بالمنجنقات والنفط اللازم لقذائفها وغيرها من السلاح وطلب منه الاتصال بأمير قيس لينسق معه عملية اعداد الجيش . ومن الواضح أن الخليفة طلب من أمير قيس مساعدته على أن يحول

لدار الخلافة جزءا مما يحصله أمير قيس من عائدات البحرين . وهذا يفسر سر الاتفاقية المشؤومة التي وقعها الفضل مع حاكم قيس ، اذ ما كاد يعود من عند الخليفة ويتصل بحاكم قيس الأمير غياث الدين بن تاج الدين جمشيد حتى طلب منه الأخير توقيع اتفاقية تحفظ لقيس جزءا كبيرا من عائدات البحرين ووافق الفضل وكانت هذه الاتفاقية هى كل ما يطمع فيه حكام قيس فقد تمت بموافقة الخليفة فلها اذن صفة الشرعية وجعلت البحرين شبه تابعة لهم وكانت في نفس الوقت المسمار الأخير في نعش الدولة العيونية وقد نصت الاتفاقية على أن يكون لأمير جزيرة قيس ما يلي :

- ١ - جزيرة اكل ومقاسمها وبرها وبحرها وخراجها وما يتعلق بها .
- ٢ - جزيرة الجارم وما يتعلق بها .
- ٣ - جزيرة الطيور وهى ( تواره وقتان ) .
- ٤ - أدم المدبغة ما خلا مائتى جلد .
- ٥ - ما فى ظهر الحورة وظهر سماهيج من مساكِر السمك الى زروان .
- ٦ - خمسمائة دينار فى كل سنة لملك قيس .
- ٧ - أن يكون الخراج والمقاسم ( النخيل ) والخاصة والحلقة وطرار الغاصة والطير والطيارات والعشور بين ملك قيس وملك العرب نصفين .
- ٨ - ان يكون لملك قيس من مقاسم تاروت ( الحسينى ) و ( الحساس ) ومقسم القصر .

# إِمَارَةُ قَيْسٍ تَنْقُلُ وِلَاءَهَا

## طَبَقًا لِنُفَيْرِ مَوَازِينِ الْمَتَوَى

### بَيْنَ انْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْخَوَارِزْمِيِّينَ

ولكنه لم يتمتع طويلا بثمار النصر  
فسرعان ماذاعت نصوص الاتفاقية  
وكانت عاملا حاسما في القضاء على  
العيونيين .

كانت قيس اذن قوة بحرية وهذا كان  
مصدر قوتها ونقرأ معا ما كتبه الشريف  
الادريسي المتوفى عام ( ٥٦٠ هـ /  
١١٤٥ م ) حول الموضوع قال :

« جزيرة كيش وهى جزيرة مربعة  
طولها اثنا عشر ميلا وعرضها اثنا عشر  
ميلا وفيها مدينة قيس تولاهما عامل من  
اليمن فحصنها وأحسن الى أهلها وعمرها  
وأنشأ بها اسطولا وصاحب جزيرة قيس  
يغزو بهذا الاسطول مدينة الزاج ويصل  
الى الكمرون وأهل الهند يخافونه ويهابون  
شره ويواسونه بالمراكب المسماة  
بالمشعيات يكون طول المركب منها طول  
الغراب<sup>(١٦)</sup> الكامل من عود واحد يجدف

٩ - من مقاسم القطيف بستان القصير  
وبستان المشعري ودالية الدار والدار  
والفايدية ونصف طراز الغاصة الذين هم  
ليسوا من أهل القطيف وخمسة وثلاثين  
بهارا من الخراج ملك قيس زيادة على  
النصف عوضا عن بستان المصفاة التى  
في الاحساء .

والتأمل فى نصوص الاتفاقية يكتشف  
أن ( قيس ) جردت البحرين من معظم  
دخلها ولم تترك لسكانها سوى أقل القليل  
وتأتى خطورتها من أنها جعلت لحكام  
قيس ولسلطان شيراز عندما أصبحت  
قيس تحت سلطانه ولأمراء هرمرز فيما  
بعد ذريعة للتدخل فى شئون البحرين  
والقطيف . وكانت الاتفاقية ثمنا باهظا  
لنصر رخيص وليس مستغربا بعد ذلك أن  
جعلت سرية وساعدت قيس الفضل على  
استعادة الحكم فى البحرين والقطيف



فيها مايتا رجل وأخبر مخبر في وقت هذا التأليف أن عند صاحب مدينة قيس ( كيش ) من هذه المراكب المسماة بالمشيعيات خمسون مركبا كل واحد منها من قطعة واحدة وعنده في ساير المراكب الملفقة جملة عديدة . وهو الآن على هذا الحال يغزو ويسبى وعنده أموال كثيرة وليس لأحد به طاقة ولمدينة قيس زروع وأغنام وأثمار وبها مغاص اللؤلؤ الجيد » .

يستفاد من هذا النص أن القوة البحرية لقيس كانت قوة لا يستهان بها في وقت كانت الجيوش حتى اعتاها لا تجرؤ على اجتياز البحر ، فالغول توقفوا عند الشاطئ الفارسي للخليج لأنه لم تكن لهم اساطيل يعبرون بها المياه وسلطان مسقط وعمان اسس امبراطوريته التي امتدت للساحل الافريقي الشرقي معتمدا على اسطوله . فاذا صح ما اورده الادريسي فان خمسين سفينة ضخمة من نوع الغراب المشار اليه بالاضافة الى الاعداد الأخرى من السفن العادية لم تكن قوة بسيطة في ذلك الوقت .

ويصف ياقون المتوفى سنة ( ٦٢٦ هـ / ١٤٢٩ م ) جزيرة قيس بأنها جزيرة في بحر عمان دورها اربعة فراسخ وهي مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عمان وله ثلثا دخل البحرين<sup>(١٧)</sup> وهي مرفأ مراكب الهند وبر فارس وجبالها تظهر منها للناظر ويزعمون

أن بينهما اربعة فراسخ . رأيتها مرارا وشربهم من آبار فيها ولخواص الناس صهاريج كثيرة لمياه المطر وفيها أسواق وخيرات ولملكها هيبة وقدر عند ملوك الهند لكثرة مراكبه ودوانيجه وهو فارسي شكله ولبسه مثل الديلم وعنده الخيول العرب الكثيرة والنعمة الظاهرة وفيها مغاص اللؤلؤ وفي جزائر حولها كثيرة وكلها ملك صاحب كيش ورأيت فيها جماعة من أهل الأدب والفقه والفضل . وكان بها رجل صنف كتابا جليلا فيما اتفق لفظه وافترق معناه . ضخم رأيته بخطه في مجلدين ضخمين ولا أعرف اسمه الآن » .

وجاء عن جزيرة قيس في الموسوعة الاسلامية طبع ليدن ولندن سنة ١٩٢٧ صفحة ٦٤٩ ما يلي :

« قيس جزيرة صغيرة تقع في الخليج الفارسي في القسم الذي يسميه جغرافيو العرب في القرون الوسطى ببحر عمان وتقع على ٥٢° من خط الطول ( جرينتش ) شرقا و ٢٤° من خط العرض شمالا ويجوز اعتبارها من اهم الجزر الفارسية في الخليج بعد جزيرة كشم وتمتد الى ١٠ أميال طولاً و ٥ أميال عرضاً وتتفصل عن البحر بممر طوله ١٢ ميلاً مما يجعله ممراً مائياً آمناً وأرض الجزيرة مسطحة رغم تواجد بعض الصخور عليها وهي مزروعة أكثر من أية جزيرة أخرى في الخليج ويشير علماء الجغرافية من العرب والفرس في القرون الوسطى الى رخائها وازدهارها وبصفة

خاصة الى ثروتها من الأشجار والنخيل  
والحقول والحدائق وصهاريج الماء  
بالإضافة الى التجارة والملاحة . وكان  
عدد سكانها في ذلك الوقت لا يستهان به  
يمارسون صيد اللؤلؤ ونزلها عرب من  
قيس واسم قيس معرب عن الفارسية  
وهي ( كيس ) او ( كيش ) .

مما سبق يتبين لنا مدى القوة التي  
كان يتمتع بها سلاطين بني قيسر ومدى  
الثراء الذي كانت تتمتع به قيس لدرجة  
جعلت حكامها يمدون نفوذهم لبعض  
شواطئ عمان وسواحل فارس في القرن  
السادس وأوائل السابع الهجري . وكان  
ولاء بني قيسر للخلافة العباسية في  
بغداد كما كانوا يدفعون للخليفة جزءا  
من وارداتهم وكان للخليفة الناصر ممثل  
في قيس يتولى استلام ما للخلافة من  
عائدات سنوية . وهنا لابد من وقفة  
لمناقشة طبيعة مساعدة الأمير غياث  
الدين جمشيد للفضل بن محمد  
العيوني . فقد عرفنا أن الأمير محمد كان  
على صلة وثيقة بالخليفة وإن ابنه الفضل  
لجأ الى الخليفة الناصر بعد مقتل أبيه  
طالباً مساعدته على الثأر . والنصوص  
التي بين أيدينا تقول أن الخليفة زوده  
ببعض الجند والسلاح ولكننا مع ذلك  
نراه يلجأ الى غياث الدين ابن الأمير تاج  
الدين جمشيد حاكم قيس وهذا يؤكد لنا  
أمرين : الأول أن الخليفة أرسل الفضل  
الى حاكم جزيرة قيس مع توصية  
بمساعدته خاصة وقيس بولائها للخليفة  
وبقوتها البحرية كانت مركز ثقل في

المنطقة ، والأمر الثاني أن : الاتفاقية  
السرية التي وقعها الفضل مع الأمير  
غياث الدين كانت معروفة للخليفة  
وبمباركته خاصة وهي تحول جزءا كبيرا  
من عائدات البحرين الى قيس التي كانت  
بدورها تدفع جزءا من عائداتها الى  
الخليفة بمعنى آخر أن الخليفة الناصر  
طلب من حاكم قيس مساعدة الفضل  
العيوني على استرداد ملك أبيه مقابل  
عائدات تأخذ قيس جزءا منها مقابل  
المساعدة العسكرية وتحول جزءا منها  
لمقر الخلافة .

على أي الأحوال لقد أحترم أمراء  
البحرين المتعاقبين بعد الفضل العيوني  
هذه الاتفاقية على الرغم من أنها كانت  
السبب في القضاء على الحكم العيوني  
وفتح الباب لدولة العصابة ثم الجبور  
والشيء المنطقي هنا هو أن الاتفاقية بقيت  
بعد زهاب الفضل لأن القوة البحرية في  
قيس كانت وراء ضرورة الالتزام بها .  
وبقيت العلاقة بين البحرين وقيس ودية  
خلال الفترة من ٦٠٦ هـ الى ٦٢٦ هـ  
وهي الفترة التي انتهى فيها حكم الأمير  
غياث الدين بن الأمير تاج الدين جمشيد  
وخلفه في حكم قيس الملك سلطان قوام  
الدين .

أما علاقات قيس بامارة هرمز فكانت  
سيئة فقد وقعت هرمز بقوتها البحرية  
منافسا صعبا أمام قيس ولما كانت هرمز  
تملك هي الأخرى اسطولا قويا للتجارة  
والصيد والغوص فقد وقعت بين  
الامارتين عدة مناوشات وأزاء هذا

# هجمات الشُّرّ في حملات المغول الكاسحة

## تصبّ على العالم الإسلامي محاولة تمزيقه

المحرك الرئيسي وراء ما شهده التاريخ من حروب وصراعات ، لقد كانت الامارتان المتصارعتان من أكثر الامارات ثراء وكانت مغاصات اللؤلؤ والمصائد بالاضافة الى عمليات نقل التجارة من والى هذه المناطق البعيدة التى وصلت للهند وافريقيا سببا فى انصباب الثروة باستمرار على أمارات محدودة السكان . هذه الثروة أسالت لعاب السلغريين ولم يفوت السلطان ابوبكر الفرصة فى اشغال نار الفتنة بين الطرفين وضرب احدى الامارتين بالأخرى فاتصل بأمر هرمرز سيف الدين أبوالنصر واغراه بمهاجمة قيس والقضاء على حكم ابناء قيس ووعد أنه يمدّه بالجند والمساعدة وأن يعد هو السفن لنقل هذه القوة الى قيس على أن يكون لأمر هرمرز فى حالة النصر حكم جزيرة قيس بالاضافة الى ثلث دخلها بما فى ذلك ما تحصل عليه قيس من البحرين حسب الاتفاقية المبرمة مع الفضل العيوني ويكون للسلطان ابى بكر ثلثا الدخل ووافق أمير هرمرز على ذلك وعقدت بين الجانبين اتفاقية بهذا الشأن وتم اعداد القوات وهاجمت جزيرة قيس

الخلاف برز دور جديد لاتابكية شيراز التى تأسست فيها الدولة السلغرية فقد كان السلطان سعد بن زنكى يعمل - كما اشرنا الى ذلك من قبل - على مهاجمة الخليفة متحالفا فى ذلك مع السلطان الخوارزمى جلال الدين منكبرى الذى كان يعتبر الخليفة مسئولا عن اثاره المغول ضد والده .

والامارتان المجاورتان فى قيس وهرمرز امارتات موالياتان للخليفة . وقد شب الصراع بينهما ولكن سعد زنكى لم يكن يملك اسطولا بحريا يمكنه من التدخل عسكريا للقضاء على الامارتين أو على احدهما فلم يكن أمامه الا اثاره الفتنة بين القوتين المتصارعتين وهو ما عمل له هو وابنه ابوبكر . ولكن اذا كان الحلف بين الدولة السلغرية ( اتابكية شيراز ) وبين الخوارزميين تحت حكم جلال الدين منكبرى هو الدافع الأول لتنمر السلغريين بقيس وهرمرز فان هناك عاملا آخر أشد تأثيرا كان هو الدافع الرئيسى وراء محاولات السلغريين ويعود هنا العامل الاقتصادى للظهور وهو العامل الذى يرى قطاع من المؤرخين أنه هو

# وهجمات الغرب في الحملات الصليبية الحادية

السفن اللازمة لنقل الجند . وبالفعل جهز سكان قيس السفن اللازمة وجهز السلطان ابوبكر جيشا اسند قيادته الى ( صلاح الدين محمد دالر ) وأمره بقتل سيف الدين ابوالنصر اذا وقع في يده ونقلت سفن قيس القوة المتجهة لغزو قيس وشنت القوة هجومها في شهر محرم سنة ٦٢٨ هـ وانتهت المعركة باحتلال قيس وأسر الأمير سيف الدين ابوالنصر وقتل وبعد احتلال الجزيرة اسند السلطان ابوبكر سعد بن زنكى حكمها الى شهاب الدين محمود بن عيسى وارسل نوابه هو الآخر الى أمير البحرين منصور بن علي العيوني طالبا أن تسلّم البحرين العوائد التي نصت عليها اتفاقية الفضل الى حاكم قيس الجديد ومرة ثانية وافق الأمير منصور على تسليم العوائد .

لم تعد قيس اذن موالية للخليفة العباسي بعد أن أصبحت تحت حكم ابوبكر سعد بن زنكى حليف المنكبرتي والذي يتخذ موقف العداء مع الخوارزميين من الخلافة . هذه الحقيقة أدت بدورها الى تغيير سير الأحداث

طبقا لنص الاتفاق وتم لها النصر وأسرت القوات المهاجمة الملك سلطان قوام الدين أمير قيس وتم قتله يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الآخرة سنة ٦٢٦ هـ . وبقتله انتهى حكم بني قيسر وتولى الحكم أمير هرمز سيف الدين ابوالنصر وما فتىء أن ارسل رسله الى الأمير منصور بن علي العيوني أمير البحرين والقطيف طالبا منه تسليم العوائد التي نصت عليها اتفاقية الفضل والتي كانت تدفع لقيس فسلم الأمير منصور العوائد الى رسل سيف الدين .

وبقى سيف الدين ابوالنصر يحكم قيس لمدة سنتين ولكن يبدو أن مطامع أمير هرمز لم تخف على حليفه السلطان ابوبكر بن سعد بن زنكى فلم يكد سكان قيس يعلنون استيائهم من عسف سيف الدين ابوالنصر ويراسلون السلطان ابابكر بالأمر حتى طلب منهم توفير السفن اللازمة لنقل جنوده لتخليصهم من حكم هرمز يدفعه هو الآخر الطمع في ثروة الجزيرة وقد سهل الأمر لهذه القوى غير البحرية أن القوى المتصارعة فوق مياه الخليج كانت على استعداد لتقديم

بالنسبة للبحرين . فالبحرين موالية للخلافة مثلها مثل جزء كبير من العالم الاسلامى الذى كان ينظر للخليفة العباسى باعتباره رمزا للاسلام وان لم يكن له فى الواقع سلطان فعلى مؤثر ولكن تغير الأحداث فى قيس جعل الحكم فى هذه الجزيرة للقوة المعارضة للخلافة بالإضافة الى ما تمثله الاتفاقية التى وقعها الفضل مع قيس من أعباء على البحرين .. هذا الواقع الجديد ظهر بوضوح فى تفكير الأمير محمد بن محمد بن ماجد بن علي منصور بن علي بن ماجد . فأسرع الأمير محمد الى بغداد واتصل بالخليفة شارحا له الأمر وطالبا مساعدته على التحرر من نفوذ خصومه المهيمنين على قيس ومن حكم ابن عمه الأمير منصور الذى استسلم لهم ووافق على دفع العائدات اليهم . وبالفعل أمده الخليفة بقوة عسكرية مكنته من طرد ابن عمه الأمير منصور بن علي واحتلال القطيف والبحرين فى سنة ٦٣٠ هـ .

وتتسارع الأحداث بعد ذلك . فقد غاظ هذا التغيير السلطان ابوبكر وضايقته محاولة البحرين للتحرر من نفوذه ولجؤها للخليفة فى بغداد فحشد قوة كبيرة لاحتلال البحرين والقطيف . وهنا لنا وقفة لمناقشة ما كتبه الدكتور الحميدان حول هذه النقطة .. فهو يقول ان الأمير عصفور بن راشد قد احتل القطيف فى

عام ٦٣٣ هـ مؤسسا دولة العصفوريين وانه اتصل من أجل ذلك بالسلطان ابوبكر فى قيس الذى ساعده على تولى حكم القطيف والقضاء على حكم العيونيين بها . ولما كانت المعركة بين الأمير محمد بن ماجد والسلطان ابوبكر قد حدثت فى عام ٦٣٣ هـ فمعنى ذلك حسب الرأى السابق أن الأمير محمد بن ماجد قد واجه فى نفس اللحظة معركة مع حاكم قيس من الشرق والعصافرة من الغرب وهو أمر لم يكن يستطيعه . والذى يستقيم مع المنطق ويؤكد ترتيب تواريخ الأحداث هو أن الأمير محمد بن ماجد اتفق مع عصفور بن راشد على التحالف لمواجهة الخطر القادم من قيس مقابل أن يتنازل له عن حكم القطيف . يؤكد ذلك أن المصادر التى بين ايدينا تقول ان حكم الأمير محمد بن ماجد على القطيف دام ثلاث سنوات وخمسة أشهر وأن حكمه على البحرين دام خمس سنوات وخمسة اشهر فاذا كان بدء حكمه فى عام ٦٣٠ هـ فانه يكون قد ترك القطيف سنة ٦٣٣ هـ وهو العام الذى هاجم فيه السلطان ابوبكر البحرين .

على أى الأحوال فقد هاجم السلطان ابوبكر البحرين بقوة كبيرة فتصدى لها الأمير محمد بن ماجد العيونى ودارت معركة حامية اسفرت عن هزيمة جيش قيس ودحر القوة الغازية . ولكن السلطان ابوبكر لم ينس هزمته فما كاد يعود الى قيس حتى شرع فى تجهيز حملة أخرى .

ولكن الظروف كانت قد تغيرت فقد اكتسح التتار في هجمتهم الثانية الدولة الخوارزمية الثانية وقتل السلطان جلال الدين منكبرتي في منتصف شوال ٦٢٨ هـ اغسطس ١٢٢١ م وأصبحت الدويلات الاسلامية مكشوفة أمام الغزو التتري الكاسح الذي ركز اندفاعه هذه المرة نحو الشرق . ووجد السلطان ابوبكر نفسه وحيدا بعد أن داست حوافر الخيل الدولة التي كانت متحالفة معه ضد الخلافة . فبدأ في الاتصال بالخليفة واعلن ولاءه له وتعهده له بأن يدفع لدار الخلافة العائدات التي كان يدفعها امراء بنى قيصر بعد تحصيلها من العيونيين . وبعد أن مهد بذلك لحملته المقبلة جهز جيشا كبيرا قاده بنفسه وانضم اليه الكثير من عرب الساحل وهاجم جزيرة البحرين وتمكن من احتلالها وقتل الأمير محمد بن محمد بن ماجد . وصودرت

جميع ممتلكات العيونيين وتعرضوا للقتل والسلب وبقتل الأمير محمد انتهى حكم العيونيين على البحرين سنة ٦٣٦ هـ وقد كتب الدكتور الحميدان في ذلك نقلا عن وصاف الحضرة : « يعطينا وصاف الحضرة بعض المعلومات المفيدة عن علاقة اتابكة فارس بالخلافة العباسية حيث قال بأنه بعد الاستيلاء على أوال والتي يسمونها البحرين ثبتت في ديوان الخليفة المستعصم بالله . وفي كل سنة يكتب دخلها وخراجها ويرسل به الى بغداد مع معتمد الخليفة في أوال » . ولكن الأمر لم يدم طويلا فازاء الزحف المغولي . تحول السلطان أبو بكر عن الخلافة التي تلفظ أنفاسها الأخيرة وسارع يخطب ود المغول فأرسل الهدايا الثمينة مع أخيه تهمتن الى اوكتاي بن جنكيز خان وخليفته في حكم التحالف المغولي وبذلك تمكن من درء الخطر المغولي عن بلاده .

## الهوامش

١ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ( الدولة العباسية ) للشيخ محمد الخضرى بك ص ٤٣٨ .

٢ - تختلف كلمة تتر بالمعنى العام باختلاف العصور ، فقد اطلق هذا اللفظ على جماعتين من قبائل التترورد ذكرهما في نقوش الأرخون التركية التى ترجع الى القرن الثانى الهجرى كما اطلق هذا الاسم على المغول عامة او على فريق منهم خاصة وفى جميع الفتوحات المغولية التى وقعت فى القرن السابع الهجرى كان الفاتحون يطلق عليهم التتر فى كل مكان نزلوا فيه سواء اكان فى الصين ام فى البلاد الإسلامية ام فى بلاد روسيا وغربى اوربا وسمى ابن الاثير اسلاف جنكيز خان باسم التتروهم التتر الأوائل ولم يظهر اسم المغول على صفحات التاريخ حتى القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) ومن المرجح انه اطلق على تلك العشائر التى انضوت تحت لواء زعيم احدى قبائلهم كان يحمل ذلك الاسم ثم بسط هذا الزعيم سلطانه على سائر العشائر المتحالفة ومن ثم اطلق عليه اسم المغول انظر تاريخ الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن الجزء الرابع ص ١٣٠ - ١٣١ .

٣ - جنكيز خان ( ١١٦٧ م - ١٢٢٧ م ) فاتح مغولى اسمه الاصلى تيموجين خلف أباه يقوصاى رئيسا للتحالف المغولى . اتخذ تيموجين لقبه سنة ١٢٠٦ م بعد اتمام فتح منغوليا وتأسيس عاصمة له فى قراقورم . هاجم ١٢١٣ امبراطورية الشان فى شمال الصين وفى عام ١٢١٥ كان قد استولى على غالبية اراضيها بما فيها العاصمة يينشنج ( بيننج الحالية ) فتح ١٢١٤ - ١٢٢٤ تركستان وبلاد ما وراء النهر وأفغانستان وأغار على فارس والدول الواقعة حاليا فى جنوبى روسيا . تو فى اثناء حربه ضد الشان وقسمت مملكته بين اولاده الثلاثة عرفت حروب جنكيز خان بالذابح الرهيبة ولكنه كان حاكما بارعا وبقيت امبراطوريته حتى ١٣٦٨ م وقد تحدر منه تيمور لنك . ( الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٥٠ )

٤ - هو لأكو خان ( ١٢١٧ - ١٢٦٥ م ) فاتح مغولى حفيد جنكيز خان وجهه أخوه منكو خان المغولى الأعظم لآخماذ ثورة فى فارس فعبر نهر جيحون ١٢٥٦ م فأعلن صغار امراء فارس ولاههم له . قام ابان هذه الحملة بالقضاء على الحشاشين وقتل ركن الدين زعيمهم . اتجه غربا فزحف على بغداد التى سقطت عام ١٢٥٨ م فى يده بعد مفاوضات مع الخليفة العباسى المستعصم بالله فقتل الخليفة وعددا كبيرا من رجاله ونهب قصره . زحف فى ١٢٦٠ م على شمال الشام وفتح حلب وفتك بعدد كبير من أهلها . رفض المماليك الاستسلام له وزحف السلطان قطز لملاقاته والحق به الهزيمة فى عين جالوت قرب الناصرة بفلسطين استسلم هولاكو وانسحب شرقا .

( الموسوعة العربية الميسرة - طبعه دار النهضة ببلبنان ١٩٨١ )

- ٥ - الكامل جـ ١٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦
- ٦ - تاريخ الاسلام - د . حسن ابراهيم حسن جـ ٤ ص ١٤٦
- ٧ - د . حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ١٥٣
- ٨ - نفس المصدر السابق
- ٩ - تاريخ الاسلام : د . حسن ابراهيم حسن جـ ٤
- ١٠ - ابوماجد : هو محمد بن علي والد مسعود
- ١١ - المقانب : هي الخيل تتجمع للاغارة ( المنجد )
- ١٢ - في هذا البيت يشير الشاعر الى أن الممدوح مسعود جده لأمه هو الفضل بن عبدالله بن علي العيوني أي أن آل الفضل هم أحوال مسعود وهذا هو سر مساعدة الفضل لمسعود لأنهم أحواله .
- ١٣ - المطمرة : سجن يشبه الجب ينزل فيه السجين بواسطة حبل ثم يرفع الحبل ويترك السجين في قعر الجب ويزود بالماء والاكل بواسطة الحبل ( الباحث )
- ١٤ - القرملة : هو شجر ضعيف لا شوك فيه وفي المثل « نليل عاد بقرمله » ( المنجد ) والدوح هو الشجر السامق العظيم فهو هنا يصف آل فضل بالدوح ويصف غيرهم بالشجر القصير الضعيف الذي لا شوك فيه يزود عنه .
- ١٥ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الشيخ محمد الخضري بك ص ٤٧٦
- ١٦ - الغراب : نوع من السفن
- ١٧ - يشير بذلك الى الاتفاقية التي اوردناها فيما سبق .

